تفسير قوله: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ

..... { وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار في دركات النار والعياذ بالله، إذا أحرقتهم النار وأضر بهم الجوع الشديد والعطش الشديد مع إحراق النار -سألوا أهل الجنة. وفي قصتهم أنهم يقولون لله: إن لنا قرابات في الجنة فأذن لنا أن نراهم ونقابلهم ونكلمهم، وأنهم إذا قابلوهم يدعو الواحد أخاه والواحد أباه والواحد ابنه والواحد يدعو ابن عمه. لأنه والعياذ بالله يكون أخوان أحدهما في الجنة والثاني في النار، ويكون أخوان الابن في الجنة والأب في النار، والعكس. فيقولون لهم يستغيثون بقراباتهم أنهم في إحراق وجوع وعطش. ويطلبون منهم أن يفيضوا عليهم من الماء؛ ليتبردوا من شدة الحريق الذي هم فيه وشدة العطش؛ فيجيبوهم بأن الله حرم ما في الجنة على الكفار أعاذنا الله من الكفر. وهذا معنى قوله: { وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ } ؛ أي هي كالمذكورات قبلها في القولين اللذين بينا { أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ } ؛ إفاضة الماء صبه بكثرة وسعة. { أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } أو هنا مانعة خلو مجوزة جمع يجوز أن يكون الماء وحده، أو ما رزقهم الله، أو الجميع. { أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } بعضهم يقول: { مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } من الأنواع التي تشبه الماء كالألبان وكالخمر؛ لأن الإفاضة يظنون أنها تختص بالسائلات؛ وعلى هذا قدروا في قوله: { أو مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } أو ألقوا إلينا مما رزقكم الله، وهذا وإن كان سائغا في اللغة العربية أن يحدث فعل يدل على المقام. هذا موجود كثيرا في اللغة العربية إلا أنه لا يحتاج إليه في هذه الآية الكريمة. وهو معروف في كلام العرب كقول الراجز: علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالة عيناها لأن الماء البارد لا يعلف يعني علفتها تبنا، وسقيتها ماء. ومنه القول الآخر: إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا لأن العيون لا تزجج والمعنى وأكحلن العيون. وقول الآخر: ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا لأن الرمح لا يتقلد؛ أي وحاملا رمحا، وهذا كثير في المنصوبات. ومن أمثلته في المرفوعات قوله جل وعلا على أحد التفسيرين: { يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ } ؛ لأن الجلود لا تصهر أي لا تذاب، معناه وتحرق الجلود. ونظيره في المرفوعات من كلام العرب قول لبيد بن ربيعة في معلقته: فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها لأن النعام لا يطفل وإنما هو يبيض حتى بعد ذلك ينفلق البيض عن الأطفال هكذا قال بعضهم. والتحقيق أن إفاضة الشيء وإلقاءه بكثرة قد يكون في المائعات وغير المائعات، وقد أطلقه الله على الآدميين المفيضين من عرفات وهم ليسوا من المائعات كما قال: { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } { فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ } . والعرب تقول: أفاض علينا من طعامه، وأفاض علينا من رزقه إذا أكثر كما هو معروف. فلا حاجة إلى هذا التقدير الذي ذهب إليه كثير من المفسرين. { أو مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } من مآكل الجنة ومشاربها يطلبونهم ويستجدونهم.